

البداية والنهاية

وَأَلْسَنَتَكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ يَسْبِقُونَا غَدَا فَإِنَّ الْمَخْصُومَ غَدَا مَخْصُومَ الْيَوْمِ وَجَاءَ فِي غُبُونِ ذَلِكَ الْأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ فِي جَمَاعَةٍ فَانْصَافَ إِلَى عَلِيٍّ وَكَانَ قَدْ مَنَعَ حَرْقُوصَ بْنِ زَهِيرٍ مِنْ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ وَكَانَ قَدْ بَايَعَ عَلِيًّا بِالْمَدِينَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَعُثْمَانُ مُحْصُورٌ فَسَأَلَ عَائِشَةَ وَطَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ إِنْ قَتَلَ عُثْمَانَ مِنْ أَبَايَعٍ فَقَالُوا بَايَعَ عَلِيًّا فَلَمَّا قَتَلَ عُثْمَانَ بَايَعَ عَلِيًّا قَالَ ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي فَجَاءَنِي بَعْدَ ذَلِكَ مَا هُوَ أَفْطَحَ حَتَّى قَالَ النَّاسُ هَذِهِ عَائِشَةُ جَاءَتْ لَتَأْخُذَ بِدَمِ عُثْمَانَ فَحَرَّتْ فِي أَمْرِي لِمَنْ اتَّبَعَ فَمَنْعَنِي أَوْ بِحَدِيثٍ سَمِعْتَهُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ الْفَرَسَ قَدْ مَلَكَوا عَلَيْهِمْ ابْنَةَ كَسْرَى فَقَالَ لَنْ يَفْلَحَ قَوْمٌ وَلَوْ أَمْرَهُمْ امْرَأَةً وَأَصْلُ هَذَا الْحَدِيثِ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْأَحْنَفَ لَمَّا انْحَازَ إِلَى عَلِيٍّ وَمَعَهُ سِتَّةُ آلَافٍ قَوْسٍ فَقَالَ لِعَلِيٍّ إِنْ شِئْتَ قَاتَلْتُ مَعَكَ وَإِنْ شِئْتَ كَفَفْتُ عَنْكَ عَشْرَةَ آلَافٍ سَيْفٍ فَقَالَ أَكْفَفْ عَنَّا عَشْرَةَ آلَافٍ سَيْفٍ ثُمَّ بَعَثَ عَلِيٌّ إِلَى طَلْحَةَ وَالزَّبِيرِ يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ عَلَى مَا فَارَقْتُمْ عَلَيْهِ الْقَعْقَاعَ بَنَ عَمْرٍو فَكُفُّوا حَتَّى نَنْزِلَ فَنَنْظُرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ فَأَرْسَلَا إِلَيْهِ فِي جَوَابِ رِسَالَتِهِ إِنَّا عَلَى مَا فَارَقْنَا الْقَعْقَاعَ بَنَ عَمْرٍو مِنَ الصَّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ فَأَطَاعْنَا نَتِ الْنَفُوسَ وَسَكَنَتْ وَاجْتَمَعَ كُلُّ فَرِيقٍ بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْجَيْشَيْنِ فَلَمَّا أَمْسَوْا بَعَثَ عَلِيٌّ عَبْدًا ﷺ بَنَ عَبَّاسٍ إِلَيْهِمْ وَبَعَثُوا إِلَيْهِ مُحَمَّدَ بْنَ طَلِيحَةَ السَّجَادِ وَبَاتَ النَّاسُ بِخَيْرِ لَيْلَةٍ وَبَاتَ قَتْلُ عُثْمَانَ بِشَرْ لَيْلَةٍ وَبَاتُوا يَتَشَاوَرُونَ وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَثِيرُوا الْحَرْبَ مِنَ الْغُلَسِ فَنَهَضُوا مِنْ قَبْلِ طُلُوعِ الْفَجْرِ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنْ أَلْفِي رَجُلٍ فَانْصَرَفَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى قَرَابَاتِهِمْ فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ بِالسِّيُوفِ فَثَارَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ إِلَى قَوْمِهِمْ لِيَمْنَعُوهُمْ وَقَامَ النَّاسُ مِنْ مَنَامِهِمْ إِلَى السِّلَاحِ فَقَالُوا طَرَقْتَنَا أَهْلُ الْكُوفَةِ لَيْلًا وَبَيْتُونَا وَغَدَرُوا بَنَا وَظَنُوا أَنَّ هَذَا عَنْ مَلَأٍ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ فَبَلَغَ الْأَمْرُ عَلِيًّا فَقَالَ مَا لِلنَّاسِ فَقَالُوا بَيْتَنَا أَهْلُ الْبَصْرَةِ فَثَارَ كُلُّ فَرِيقٍ إِلَى سِلَاحِهِ وَلَبَسُوا الْأَمَّةَ وَرَكَبُوا الْخِيُولَ وَلَا يَشْعُرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَا وَقَعَ الْأَمْرُ عَلَيْهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَكَانَ أَمْرُ ﷺ قَدَرًا مَقْدُورًا وَقَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقٍ وَقَدِمَ وَتَبَارَزَ الْفَرَسَانِ وَجَالَتِ الشَّجَعَانُ فَنَشِبَتِ الْحَرْبُ وَتَوَافَقَ الْفَرِيقَانِ وَقَدْ اجْتَمَعَ مَعَ عَلِيٍّ عَشْرُونَ أَلْفًا وَأَلْتَفَ عَلَى عَائِشَةَ وَمِنْ مَعَهَا نَحْوُ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا فَانَا ﷺ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَالسَّابِقَةُ أَصْحَابُ ابْنِ السُّودَاءِ قَبِحه ﷺ لَا يَفْتَرُونَ عَنِ الْقَتْلِ وَمَنَادَى عَلِيٌّ يَنَادِي أَلَا كُفُّوا إِلَّا كُفُّوا فَلَا يَسْمَعُ أَحَدٌ وَجَاءَ كَعْبُ بْنُ سَوَّارٍ قَاضِي الْبَصْرَةِ فَقَالَ يَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ أَدْرِكِي النَّاسَ لَعَلَّ ﷺ أَنْ يَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ فَجَلَسَتْ فِي هُودَجِهَا فَوْقَ بَعِيرِهَا وَاسْتَرَوْا الْهُودَجَ بِالْأَدْرُوعِ وَجَاءَتْ فَوَقَفَتْ بِحَيْثُ تَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ عِنْدَ حَرَكَاتِهِمْ فَتَمَازَلُوا وَتَجَاوَلُوا وَكَانَ فِي جُمْلَةٍ مِنْ تَبَارَزَ الزَّبِيرُ وَعِمَارُ فَجَعَلَ عِمَارٌ يَنْخَرُهُ بِالرَّمْحِ وَالزَّبِيرُ كَافٌ عَنْهُ وَيَقُولُ لَهُ أَتَقْتُلْنِي يَا أَبَا الْيَقْطَانِ فَيَقُولُ لَا يَا أَبَا عَبْدِ ﷺ وَإِنَّمَا تَرَكَهُ الزَّبِيرُ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَوْ تَقْتُلُكَ الْفِتْنَةُ الْبَاطِلَةُ وَإِلَّا

فألزير أقرر عله منه عله فلهذا كف عنه وقد كان من سنتهم في هذا اليوم أنه لا يذف
على